تقريب متن القواعد الأربع

أملاه خادم العلم وأهله العبد الفقير إلى ربه:

أحمد بن الحافظ الشنقيطي

عامله الله ووالديه ومشايخه بعفوه ولطفه وستره الجميل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

هذا تقريب لمتن القواعد الأربع، أذكر فيه ضابط كل قاعدة، ووجه القاعدة، ودليل القاعدة، بطريقةٍ مبسطةٍ جدًّا، معدةً للحفظِ، والفهم.

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ هذه القواعد بمقدّمة دعائيّة شملت الدّعاء بخمسة أمور، فقال:

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن:

١- يتولّاك في الدنيا والآخرة.

٢- وأن يجعلك مباركًا أينما كنت.

٣- وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر.

٤- وإذا ابتلي صبر.

٥- وإذا أذنب استغفر.

ثمّ ذكر مقدّمة أخرى، وتكلم فيها عن الحنفيّة، وأنّها ملّة إبراهيم: **أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين.**

وأن العبادة لا تسمّى عبادة إلّا مع التّوحيد كما أنّ الصّلاة لا تسمّى صلاةً إلّا مع الطّهارة، فإذا دخل الشّرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطّهارة.

فإذا عرفت أنّ الشّرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النّار عرفت أن أهمّ ما عليك: معرفة ذلك؛ لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشّبكة وهي الشّرك بالله؛ وذلك بمعرفة أربع قواعد، ذكرها الله تَعَالَى في كتابه.

القاعدة الأولى

أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقرّون بأنّ الله هو الخالق الرّازق المحيي المميت المدبّر لجميع الأمور، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام.

ضابط القاعدة: أنّ كلّ من أقرّ بتوحيد الرّبوبيّة ولم يقرّ بتوحيد الألوهيّة فهو مشرك وليس بموحّد.

وجه ذلك: أنّه لم يصْرف جميع أقسام التّوحيد لله ﷻ، وأقسام التّوحيد متلازمة، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [سورة الزمر:٣]، فمن صرف أي قسم من أقسام التّوحيد لغير الله فهو مشرك، ودينه ليس بخالص لله.

دليل القاعدة: قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس:٣١].

القاعدة الثانية

أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلّا لطلب القربة والشّفاعة.

ضــابط القاعدة: أنّ كلّ ما يُطلق عليه مُســمّى العبادة، أو كان من جنس الدّعاء، لا يجوز صرفه لغير الله، فمن صرفه لغير الله فهو مُشرِك.

وجه ذلك: أنّهم طلبوا من غير الله ما لا يقدر عليه إلّا الله.

دليل القاعدة: قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة الزمر:٣] ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس:١٨].

الشفاعة شفاعتان: ١/ شفاعة منفيّة، ٢/ شفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، والدّليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله، **والشافع**: مُكْرم بالشفاعة، **والمشفوع له**: من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن؛ كما قال تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

القاعدة الثالثة

أن النبي ﷺ ظهر على أُناس متفرّقين في عباداتـــــهم، منهم من يعبد الشّمس والقمر، ومنهم من يعبد الـــملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالـــحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشّمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يُفرّق بينهم.

ضـابط القاعدة: أنّ كلّ من عَبد غيـــــر الله سـواءً كان نبيًّا أو وليًّا أو غير ذلك بأيّ طريقة كانت فهو مُشرك، ولا عبرة بالنّيّة إذا خالفت العمل.

وجه ذلك: أنّ تعدّد المسمّيات لا يُغيّر من الأحكام شيئًا.

دليل القاعدة: قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:١٩٣].

ودليل عبادة الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [سورة فصلت:٣٧].

ودليل عبادة الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [سورة المائدة:١١٦].

ودليل عبداة الصالحين قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [سورة الإسراء:٥٦-٥٧].

ودليل عبادة الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [سورة النجم:١٩-٢٠]، وحديث أبي واقد اللّيثيّ رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبيّ ﷺ إلى حُنَيْنٍ ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتَهم، يُقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذاتُ

أنواط، فقال رسول الله ﷺ: ((**اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُم وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف:١٣٨]))(١).

القاعدة الرابعة

أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرّخاء ويخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرّخاء والشدّة.

ضابط القاعدة: أنّ شرك المتأخّرين دائم في الرّخاء والشدّة.

وجه ذلك: أن المشركين الأوائل يعلمون بأنّ من يُنجيهم من الكُرب هو الله؛ لذلك يستغيثون به في الشّدائد. أما مشركو زماننا فتعلّموا في الرّخاء أن يستغيثوا عند الشدّة بالأولياء والصالحين، كما قال قائلهم وهو يستجير بالنبي ﷺ بعد موته:

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ ... إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

وقال آخر:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُدُوثِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ

دليل القاعدة: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٥].

أسأل الله أن يقبضني وإياكم على التوحيد، وأن يجعل آخر كلامنا من هذه الدنيا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّم

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠).

فهرس الموضوعات